

روح المعاني

سبحانه وما كان لبشر أن يكلمه إلا وحيًا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا وهو ظاهر ما ذكره البخاري في صحيحه في تفسير هذه السورة وقال بعضهم : إنها إنما تنفي رؤية تدل عليها الآية التي نحن فيها وهي التي احتج بها مسروق .

وحاصل ما روي عنها نفي صحة الاحتجاج بالآية المذكورة على رؤيته E ربه سبحانه ببيان أن مرجع الضمير فيها إنما هو جبريل عليه السلام على ما يدل عليه جواب رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها وحمل قوله صلى الله عليه وسلم عليه وسلم في جوابها لا على أنه نفي للرؤية المخصوصة وهي يظن التي دلالة الآية عليها ويرجع إلى نفي الدلالة ولا يلزم من انتفاء الخاص انتفاء المطلق والأنصاف أن الأخبار ظاهرة في أنها تنفي الرؤية مطلقا وتستدل عليه بالآيتين السابقتين وقد أجاب عنهما مثبتو الرؤية بما هو مذكور في محله .

والظاهر أن ابن عباس لم يقل بالرؤية إلا عن سماع وقد أخرج عنه أحمد أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : رأيت ربي ذكره الشيخ محمد الصالح الشامي تلميذ الحافظ السيوطي في الآيات البينات وصححه وجمع بعضهم بين قولي ابن عباس وعائشة بأقول عائشة محمول على نفي رؤيته تعالى في نوره الذي هو نوره المنعوت بأنه لا يقوم له بصر وقوله ابن عباس محمول على ثبوت رؤيته تعالى في نوره الذي لا يذهب بالأبصار بقريضة قوله في جواب عكرمة عن قوله تعالى : لا تدركه الأبصار : ويحك ذاك إذا تجلس بنوره الذي هو نوره وبه يظهر الجمع بين حديثي أبي ذر أخرج مسلم من طريق يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن شقيق عن أبي ذر قال : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل رأيت ربك قال : نوراني أراه ومن طريق هشام وهما مكلهما عن قتادة عن عبد الله قال : قلت لأبي ذر لو رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم لسألته فقال : عن أي شيء كنت سأله قال كنت أسأله هل رأيت ربك فقال أبو ذر : قد سألته فقال : رأيتنورا فيحمل النور في الحديث الأول على النور القاهر للأبصار بجعل التنوين للنوعية أو للتعظيم والنور في الثاني على ما لا يقوم له البصر والتنوين للنوعية وإن صحت رواية الأول كما حكاها أبو عبد الله المازري بلفظ نوراني بفتح الراء وكسر النون وتشديد الياء لم يكن اختلاف بين الحديثين ويكون نوراني بمعنى المنسوب إلى النور على خلاف القياس ويكون المنسوب إليه هو نوره الذي هو نوره والمنسوب هو النور المحمول على الحجاب يحمل مواطأة في حديث السباحة في قوله E : حجاب النور وهو النور المانع من الإحراق الذي يقوم له البصر .

ثم إن القائلين بالرؤية اختلفوا فمنهم من قال : إنه E ربه سبحانه بعينه وروي ذلك ابن مردويه عن ابن عباس وهو مروي أيضا عن ابن مسعود وأبي هريرة وأحمد بن حنبل ومنهم من

قال : رآه D بقلبه وروي ذلك عن أبي ذر أخرج النسائي عنه أنه قال : رأى A ربه بقلبه ولم يره ببصره وكذا روي عن محمد بن كعب القرظي بل أخرج عبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم عنه أنه قال قالوا : يا رسول الله رأيت ربك قال : رأيت بقلبي ولم أرها بأبصار ثم قرأ ما كذب الفؤاد ما رأى وفي حديث عن ابن عباس يرفعه فجعل نور بصري في فؤادي فنظرت إليه بفؤادي وكان التقدير في الآية على هذا ما كذب الفؤاد فيما رأى ومنهم من ذهب إلى أن إحداهما الرؤيتين كانت بالعين والأخرى بالفؤاد وهي رواية عن ابن عباس أخرج الطبراني وابن مردويه عنه أنه قال : إن محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه D مرتين مرة ببصره ومرة بفؤاده ونقل القاضي عياض عن بعض مشايخه أنه توقف أي